التجربة السورية بتعليم الموسيقا العربية والتراثية للأطفال واليافعين إشكاليات وحلول ((تجربة معهد صلحي الواداي التابع لوزارة الثقافة وتجربة معهد أوتار الخاص)) نموذجاً

هبه محمد معين ترجمان[1] (سوريا)

مقدمة

التعليم والتربية الموسيقية:

عندما نتحدث عن الموسيقى كعلم وتربية نجد أنها من أكثر الوسائل فائدة للطفل فالإيقاع والانسجام الموسيقي يملكان القدرة العظيمة على تغذية الروح والعروج بها إلى عروش الجمال التي تساعد التربية في سيرها الطبيعي .

حتى إن فقدان تذوق الموسيقى هو فقدان للسعادة .. , من هنا كانت التربية الموسيقية المساهم الأساسي لتطور المنسجمات للملكات الإنسانية والتي تختلف عن باقي العلوم على اختلاف أنواعها وأهميتها التي تبقى قاصرة في إعداد وتكوين الملكات اللازمة لشخصية الإنسان لأنها تحاكي العقل عموماً , ولكن الموسيقى تعمل على إعداد مجتمع كامل مبني على القيم والأخلاق التي هي عماد أساسي لاستمرارية هذا المجتمع في وجه أي تحديات محتملة.

إن التربية الموسيقية تساعد على دعم المجتمع الإنساني وتعمل كرافعة وحاضنة له من السقوط والانهيار .. لأنها تهتم بالإنسان الذي هو أسمى أدوات هذا المجتمع بل هو أقصى غاية في الوجود.

---

[1] **باحثة في الشؤون الثقافية والحضارة، وكاتبة وإعلامية صحفية. تعمل معاون مدير مديرية المعاهد الموسيقية ومعهد صلحي الوادي للموسيقى ((المعهد العربي للموسيقى)) – وزارة الثقافة السورية. وهى مراسل جريدة المدينة السعودية من دمشق. و ممثل الرابطة الدولية للإبداع. شاركت فى العديد من المؤتمرات كما نشر لها العديد من الأبحاث التى تخص الموسيقى العربية فى مجلات مختلفة بالدول العربية**

لذلك كان التعليم الموسيقي للطفل رادفاُ لصفاته الشخصية والذاتية , وداعماً للخلق المبدعين وهي البيئة التي يجب على الأسرة أن تكون الحاضنة الملائمة والمناسبة للطفل وترعى نمو شخصيته الثقافية والأخلاقية والجمالية والاجتماعية , من هنا نجد التعليم الموسيقي له أهمية في العديد من الأشياء منها :

- الأثر الكبير في تنمية الموهبة والإبداع .
- يعتبر المرحلة الثانية لنمو واكتمال الشخصية لدى الطفل هو المجتمع المدرسي حيث يجب اعتماد مناهج تعليمية ودراسية وخاصة مناهج موسيقية وإدخالها إلى المدارس في المراحل الأولى .
- لما للموسيقى من دور أساسي في بناء الشخصية المتوازنة لدى الطفل وتهذيب روحه بحيث يظهر عنده الحس المرهف الخاص بقيمة الحياة من جهة , ودوره كعنصر فاعل في تحسين هذه الحياة من جهة أخرى .
- أيضاً أثبتت الدراسات الحديثة الدور الكبير للموسيقى والغناء في العلاج الصحي والنفسي للأطفال الذين يعانون من الضغوط النفسية والتوتر العصبي .

<u>الموضوع</u>

أهمية تعليم الموسيقا العربية وعلاقتها بالهوية:

وعندما نتحدث عن أهمية تعليم الموسيقا العربية هنا فنحن نأتي على التأكيد الثقافي للذات الذي نجده من خلال التمسك باللغة والتراث هو مكون روحي والانتماء للثقافة يشكل شعور الفرد بالوجود ضمن إطارها الواحد[٢] ولأن اللغة والموسيقا موضوعان جدليان نجد أنهما أهم مقومات الأمة العربية وكانتا عنواناً لها وأبرز العوامل المكونة للشخصية العربية ويشكلان تفرداً منذ القديم , لذلك عندما يراد تشويه الهوية يطالهما التشويه تحت مسمى طغيان الثقافة العالمية والعبث بها من خلال اللغة والموسيقا تحت ما يسمى بالعولمة التي من مهامها سحق الهويات والخصوصيات الثقافية تحت أقدام ثقافات واردة يقدم لها مروجوها أنها ذروة في التقدم والتحضر[٣]

[٢] محمد إبراهيم عيد – الهوية الثقافية والعالم المتغير– مقالة ضمن مجلة الطفولة والتمنية – المجلس العربي للطفولة والتمنية القاهرة ٢٠٠١

[٣] د .أحمد محمد وهبان – — الهوية العربية في ظل العولمة " إطلالة على حال الهوية في مصر والعالم العربي" سلسلة الجمعية السعودية للعلوم السياسية (٩)

ولقد كنا منذ القديم في الوطن العربي أكثر المجتمعات معاناة عير العصور من عهود ظلامية غيمت على العقول , إضافة للانغلاق السياسي الذي همش ولعب بعقول العامة والخاصة وحاول السيطرة على أجيالنا منذ العصور السابقة ,من خلال التسييس الذي استهدف أهم مقومات الثقافة العربية سواء من فرنسة أو انكلونية وصولاً للصهيونية ما هنالك .....

وكانت أهم الأشياء التي استهدفت هويتنا المساس بمقومات الثقافة العربية التي عنوانها اللغة والموسيقا العربية, ومع ما نشهده التطور التكنولوجي وإعلام الشبكات المفتوحة وحدوث التغييرات السريعة إضافة لموجات الهجرة للشباب وللحروب نجد أن الخوف أصبح أكبر على هويتنا الثقافية .

من هنا نجد أن تعليم الموسيقا العربية من أهم الحاجات الثقافية في وطننا قديماً وحديثاً فدعم التعليم الموسيقي للآلات وعلو النظريات الموسيقية العربية ليس فقط لايدعم الحالة الفنية والإبداعية بل سيدعم أساس الهوية العروبية ويدعم أبناؤنا للرقي والإبداع بها بما يتوافق مع المستجدات الحاصلة .

لذا لابد من تركيز على الإيجابيات والإشكاليات التي تواجهنا في تعليم الموسيقا العربية ودعم الحالات الإيجابية وسد الثغرات ومعالجة ما يعانيه الأطفال واليافعين في تعليم الموسيقا العربية وسنناقش في هذه الوريقات القليلة ما يخص تعليم الموسيقا العربية وإشكالياتها من خلال نموذجين من المعاهد الموسيقية في سوريا من خلال نموذجين مختلفين الحكومي والخاص وهما :

- المعهد العربي للموسيقا والذي يسمى حالياً (معهد صلحي الوادي للموسيقا)
- معهد أوتار

تعليم الموسيقا العربية في سورية:

عندما نتحدث عن التعليم الموسيقي في سورية نجد أنه بدأ مع ولادة أول معهد في دمشق عام ١٩٢٨، ولكن بسبب الكثير من الإشكاليات والعوائق في المجتمع من محاربة أو إشكاليات مادية جعلته يتوقف ، أي إبان

الانتداب الفرنسي على سورية ، فقد أسس الزعيم الوطني المدافع عن الموسيقى فخري البارودي ، مع الأستاذ توفيق الصباغ[٤] ، عازف الكمان المشهور والملقب " ملك الكمنجة " : "النادي الموسيقي السوري الشرقي" ،

بقصد تعليم الموسيقى للموهوبين. وأغلق الفرنسيون المعهد بعد عامين بسبب نشاطه الذي ركز في حفلاته ، إلى جانب الأعمال الفنية ، على تقديم الأغاني والأناشيد التي تشيد بسورية و تندد بالانتداب الفرنسي عليها.

·في عام ١٩٤٣ ، وبجهود مكثفة من فخري البارودي[٥] ، تم في دمشق تأسيس المعهد الموسيقي الشرقي ، واستمر في عمله لمدة عامين ، أي حتى عام ١٩٤٥ ، حيث أغلق مجدداً من قبل السلطات الفرنسية.

·في عام ١٩٤٧ ، وبعد استقلال سورية ، وبجهود حثيثة من فخري البارودي في مجلس النواب ، تم تأسيس المعهد مجدداً تحت اسم المعهد الموسيقي. أغلق المعهد مجدداً في عام ١٩٤٩ ، بسبب إلغاء مخصصاته من قبل مجلس النواب ، الذي سيطرت عليه في ذلك الوقت ، قوى تعارض التنوير و تعليم الموسيقى!

[٤] توفيق الصباغ من ألمع المؤلفين الموسيقيين السوريين من مدينة حلب الذين انصرفوا إلى التأليف الموسيقي

[٥] فخري البارودي سياسي وموسيقي سوري له الفضل الأكبر في دعم الحركة الفنية بسورية ((وصباح فخري أخذ لقبه منه))

إلى أن بدأت الأمور تصبح مناسبة استطاع البارودي مرة ثانية في عام ١٩٥٠ ، بالتاسع من شهر كانون الثاني / ديسمبر أن يفتح المعهد بعد أن صدر بذلك مرسوم جمهوري تنظيمي في دمشق ينص على تأسيس المعهد الموسيقي ، وقد باشر المعهد عمله في ١٥ آذار / مارس عام ١٩٥١ ، واستمر حتى عام ١٩٥٨ ، حيث أغلق وكان السبب هذه المرة إعادة هيكلة الوزارات التي جرت في دولة الوحدة بين مصر وسورية ، و التغييرات التي اعتمدت لتبعية المؤسسات لتلك الوزارات[6].

ولم يكتب لهذا المعهد الاستقرار إلا في عام ١٩٦٠, ليعاد افتتاحه تحت اسم المعهد العربي للموسيقى في دمشق , بالتوازي مع المعهد العربي في مدينة حلب أيضاً وهما مستمران حالياً ٠

وتم إتباع هذان المعهدان لوزارة الثقافة والإرشاد القومي ، وليستقر التدريس فيه أخيراً. عام ١٩٦٠.ومعهد حلب تم إطلاق اسم صباح فخري عليه تكريماً له. وهما معهدان للأطفال واليافعين

وتجدر الإشارة أن هذان المعهدان كانا النواة التي تسببت بافتتاح المعهد العالي للموسيقى في سورية في عام ١٩٩٠.

وقد استمر المعهدان في دمشق وحلب عملهما وبدأ الإقبال يزداد عليهما ويمكننا الحديث أن سوريا في السنوات الأخيرة أصبح التعليم الموسيقي فيها يجد إقبالاً كبيراً جداً .. مع تغيرات ملحوظة في نظرة الناس لهذا الفن وإقبالهم على تعلم الموسيقى بمختلف المراحل العمرية ونظراً للحاجة الملحة والإقبال على التعليم الموسيقي بدأت تنشأ بشكل كبير المعاهد الخاصة.

وتوسعت كذلك وزارة الثقافة بالمعاهد وذلك بعد استحداث مديرية خاصة بالمعاهد الموسيقية والباليه هام ٢٠٠٨ هذه المديرية التي كان دوروها إنشاء المعاهد الموسيقية ومدارس الباليه في كافة المحافظات فأصبح للوزارة في كل محافظة معهد وزعت على الشكل التالي :

١- معهد صلحي الوادي –دمشق[٧]
٢- معهد صباح فخري –حلب
٣- معهد فريد الأطرش – السويداء
٤- معهد نجيب السراج – حماه
٥- معهد محمد عبد الكريم –حمص

[6] تم ذكر النص حول تعثر إنشاء المعاهد في سورية ضمن صفحة الدكتور سعد آغا القلعة على موقع التواصل فيس بوك
[٧] سمي المعهد باسم معهد صلحي الوادي للموسيقى عام ٢٠٠٤، إذ كان الفنان صلحي الوادي أول مدير له عند تأسيسه

٦- معهد محمود العجان – اللاذقية
٧- المعهد العربي – طرطوس[٨]

وهنا نلاحظ أن دوافع التعلم الموسيقي بين الأطفال كانت تهدف إما تنمية المهارات والهوايات الشخصية أو جاءت استغلالاً لأوقات فراغ الطلبة أو الرغبة في الاحتراف والامتهان إلى جانب التخصص الجامعي .

ورغم تنوع أسباب هذا الإقبال المتزايد تزداد الأسئلة حول تعلم الموسيقى العربية _هل استطاعت أن تفي بحاجة المجتمع لدعم الفن العربي ؟؟؟ أو تأكيد الهوية الفنية العربية للجيل؟؟؟ ومامدى الانعكاس إيجاباً أو سلباً على الواقع الموسيقي العربي في سوريا؟؟؟

لنجيب عن هذه الأسئلة سنتحدث عن كل من المعهد العربي بدمشق ((معهد صلحي الوادي حالياً)) التابع لوزارة الثقافة و معهد أوتار ((معهد خاص)).

- **معهد صلحي الوادي للموسيقا بدمشق :**

كما ذكرنا آنفاً أن هذا المعهد استحدث عام ١٩٦١ بالتوازي مع المعهد العربي بحلب وكان وهو جهة عامة تتبع وزارة الثقافة يستهدف فئة الأطفال واليافعين من السابعة حتى الثامنة عشر ضمن شروط تركز على المبدعين من فئات الطلبة التي يمكنها الاستمرار وقد حصرت الأهداف الرئيسية المنوطة بالمعهد العربي للموسيقا (معهد صلحي الوادي) والمطلوب تحقيقها والعمل عليها بما يلي :

١-إنهاض الموسيقى وإعداد موسيقيين مختصين في العزف على مختلف الآلات الموسيقية ولاسيما العربية وتعليم الغناء الفردي والجماعي , وبوجه خاص الغناء العربي التقليدي .

٢-إعداد مؤلفين موسيقيين ذوي ثقافة فنية عالية .

٣-تكوين مجموعات طلابية للموسيقا العربية وأوركسترات سيمفونية وقادة للإوركسترات ومجموعة موسيقى الحجرة .

٤-إعداد الدراسات والأبحاث والمؤلفات الموسيقية وتقديم المشورات الموسيقية.

٥-التعاون مع المعاهد والمراكز والهيئات الموسيقية .

٦-المساهمة في إعداد جيل فني يستطيع حمل الرسالة الموسيقية العربية والعالمية على أساس علمي سليم وفي حماية تراث الموسيقا العربية وتطويرها.

[٨] جميع المعاهد تم إطلاق أسماء فنانين عليها من نفس المحافظة

وللمعهد خطة خاصة استيعابية وإستراتيجية لتعليم الموسيقا في مراحل مبكرة من العمر , مع الاهتمام الخاص بالأطفال ذوي الملكات الخاصة , وكذلك عن طريق إجراء اختبارات القبول وفق خطط عامة ومدروسة لتحقيق هذا الهدف .

لا ننكر أن عدداً كبيراً من الأطفال يستعدون لاختبار القبول في المعهد قبل الفحص بفترة عن طريق الاستعانة بأساتذة مختصين لتدريبهم , ومنهم من يأتي دون أي تدريب مسبق , وقسم كبير منهم يملك أذناً موسيقية بالفطرة , لكن المعهد يأخذ بعين الاعتبار أن الأولوية للأفضل والذي جهز نفسه مسبقاً , وهذا الأمر بحد ذاته ساعد على انتشار المعاهد الموسيقية الخاصة التي تعمل على إعداد العديد من الأطفال قبل التقدم لاختبارات القبول في معهد صلحي الوادي.

حيث أنه كلما أبكر الأطفال بتعلم الموسيقا استطاعوا أن يصلوا إلى مراحل متميزة تمكنهم من الاستمرار في الدراسة الأكاديمية , فبات اهتمام الأهالي بتعليم أطفالهم الموسيقا لافتاً حيث نجدهم يبحثون عن معاهد خاصة وأساتذة لأطفالهم منذ عمر السنتين.

تضم الهيئة التدريسية في معهد صلحي الوادي صفوة الموسيقيين في سوريا , الذين تم اختيارهم بعناية تامة لينهل طلاب المعهد من خبراتهم ومواهبهم الفذة في مجال العزف والأداء .

المعهد يعتمد في نظامه التعليمي على ثلاث مراحل _ التحضيرية – المتوسطة والمتقدمة _

وبالعودة للحديث عن تعليم الموسيقا العربية في المعهد العربي بدمشق نعود لبداياته ١٩٦١حيث نجد أن الآلات العربية التي كانت موجودة هي – قانون – عود – ناي فقط مقابل وجود أغلب الآلات الغربية مثل البيانو –الآلات الوترية كافة والغيتار ...وصولاً للهارب.

وبالعودة للأسباب وجدنا أن أغلب المتقدمين لم يكونوا يرغبون بالتعلم على الآلات العربية أو الشرقية .

فقد ينتسب للمعهد لتعلم العزف على آلة القانون مابين ٥ إلى ٦ طلاب و ٤ طلاب لتعلم العزف على العود وطالبان ٢ ناي أما المنهاج المتبع لتعليم الموسيقا الشرقية والعربية آنذاك فكان مقتصراً على ما وضعه مدرس مادة المنهاج وهو الأستاذ عدنان إيلوش.[٩]

ورغم عدم الإقبال على تعلم الآلات العربية أو الشرقية في المعهد إلا أن أعداد الطلاب الراغبة بتعلم الآلات العربية بدأ بالازدياد نسبياً لنجد ليصل من ١٠ لغاية ١٢ عام ١٩٨٤.

ومع تزايد الطلاب و تغير الفترة الزمنية وتعاقب الإدارات على المعهد تم إحداث قسم جديد عام ٢٠٠٤ خاص بتعليم العزف على الآلات الشرقية , التي شملت القانون , الناي, العود , البزق . هذا القسم يتم تكليف أستاذ متخصص بالموسيقا العربية لترأسه يتم اختياره من المدرسين وهو بدوره يتابع تكليف المدرسين وتوزيعهم على الطلبة ويتابع سير المناهج والتعليم.

وقد تم زيادة آلة البزق في نفس هذا العام كأحد الآلات الشرقية والتراثية , وفي عام ٢٠١٠ ثم استحداث قسم الغناء الشرقي .

[٩] عدنان إيلوش فنان وعازف عود سوري وضع منهاج لتعليم آلة العود وهو من خريجي المعهد الشرقي

رغم كل ما تم ذكره بقي عدد الطلاب متفاوتاً حيث نجد أنه في أفضل الأحول نسبة طلبة الآلات الشرقي تصل لـ ٣٠٪ من عدد الطلاب الأساسي في المعهد.

وقد استطاعت إدارة المعهد ن تحاول استقطاب الطلبة وزيادة عدد الدارسين للآلات الشرقية بانتهاج إستراتجية خاصة مثل – العلامات أولاً وثانياً تقديم تعريف للآلات العربية والشرقية من اجل ترغيب الطلبة تعلم العزف على الآلات العربية, حيث قدم المعهد برامج خاصة أو محاضرات عن الآلات العربية في الفترة التي يجب على الطالب التخصص بالآلة وهنا بدأ عدد الطلبة الذين تخصصوا بالعزف على الآلات العربية يزداد نسبياً:

ولو ألقينا نظرة أو أحصينا عدد طلاب الآلات الشرقية في المعهد حالياً والذي يبلغ عدد طلابه بشكل عام ما بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ طالب نجد مايلي :

٣٠ طالب قانون وسابقاً قد يصل عددهم لـ ١٥.

٩ طلاب ناي ٩ وسابقاً كان ٢ للخمسة .

٢ طلاب بزق وفي أغلب الأحول لايصل عددهم حتى ٥.

٥٠ طالب عود وسابقاً يصل العدد لـ ٣٠ (علما أن منهم طلاب غناء شرقي يتعلمون العزق على آلة العود بشكل إلزامي).

٢١ طالب عناء شرقي وكان سابقاً بمعدل ٥ طلاب .

علماً إن الإحصائيات قد لا تأتي بشكل دقيق ١٠٠٪ نظراً لأن بعض الطلبة لا يستمر بالدراسة لسبب أو لآخر ومنهم من لا يستكمل كافة المراحل فممن الممكن أن يكتفي بالمرحلة التحضيرية فقط.

تجربة المعهد العربي ((صلحي الوادي)) بتعليم العزف على الآلات العربية بين السلب والإيجاب:

لا شك بأن المعهد العربي هو حالة تعليمية هامة بسورية لكن بالنسبة لتعليم الموسيقا العربية نجد أن الموضوع يتأرجح بين السلب والإيجاب, فإذا تحدثنا عن النواحي السلبية التي يمكن اعتبارها رغم الجهود التي تبذل تجعله قاصراً عن تقديم الحالة التعليمة التي نحتاجها بالنسبة لتعليم الموسيقا نجد مايلي:

- عدد الآلات العربية أو الشرقية التي يتم التعليم عليها قليل جداً أربع آلات إضافة لمادة الغناء الشرقي وهذا قليل في معهد ضمن بلد عربي أساساً .
- الرؤية لتعليم الموسيقا العربية غير واضحة المعالم ولا الأهداف, بل أيضاً غير ملزمة للطلبة إلا في بعض الأوقات فعندما نشهد تاريخ المعهد نجد أن المعهد العربي في حلب كان الاهتمام بالموسيقا العربية أكبر من دمشق .
- المشكلة الأكبر المناهج والتي تعتبر قاصرة فلا يوجد مناهج موحدة ثابتة كما حال باقي الآلات الغربية.
- الآلات التراثية أو الأصلية والتي يمكن اعتبارها لات تاريخية فلا يوجد أي آلة تراثية ...وهذا الموضوع لا يمكن وضع اللوم على إدارة المعهد التي منذ تأسيسها اهتمت بالموسيقا الكلاسيكية ولكن يعود لحالة الحفاظ على التراث وحمايته وهي أساساً حالة الثقافة العامة في الدولة .
- لا يوجد في المعهد مادة النظريات العربية (الصولفيج) بشكلها الواضح أو الممنهج رغم أنها من مواد الموسيقى العربية الهامة في تعليم الغناء من أجناس ومقامات الموسيقى العربية بطبائعها المختلفة الهامة وتعتبر مادة الصولفيج العربي من المواد الدراسية الهامة لطلبة الكليات والمعاهد الموسيقية لاشتمالها على بنود ساعدت الطالب من إتقان مفردات اللغة الموسيقية (تذوق – غناء – تدوين) ولهذا السبب نستطيع الحديث أن فقدان الباحثين والمنظرين في سورية يقع اللوم فيه على المعاهد الموسيقية ومنها المعهد العالي للموسيقا.
- الإشكاليات السياسية أثرت على الحالة التعليمة في المعهد خاصة بفترة النزاع الدائر حيث فقد المعهد الكثير من الطلاب بسبب الهجرة , وكذلك المدرسين , مما أثر على المستوى الدراسي والفني .

في المقابل ورغم السلبيات نجد إيجابيات هامة نستطيع الحديث عنها مثل :

- إعادة توجيه الطلبة نحو تعلم الموسيقا العربية رغم قلة الآلات نجد أن زيادة عدد الطلبة يعطينا الأمل أن المعهد استطاع زيادة عدد الراغبين بتعلم الموسيقا العربية.
- تمكن المعهد من إجراء ورش عمل وجلسات تذوق حتى لأهالي الطلبة وهي تعتبر محاولات هامة لرفع الحس والتذوق الموسيقي للموسيقا العربية .
- الحفلات التي أقامها المعهد لطلاب العزف على الآلات العربية
- كانت حفلات ضخمة استطاعت أن تستقطب عدد كبير من الجمهور قديما وحديثاً, ويمكن الحديث أن المعهد في الفترة الأخيرة أقام حفلات ضمن المناطق التي شهدت إشكاليات ونزاع وتفاعل بها الجمهور من الأطفال بشكل كبير مما يعكس لنا أن الموسيقا العربية لها جمهورها من الأطفال وحتى من أطفال شهدوا إشكاليات الحرب والنزاع الدائر في البلد.
- أما أهم ما مايمكن الحديث عنه من إيجابية أن المعهد هو سبب تأسيس الفرقة الوطنية السورية للموسيقا العربية , فقد تأسست أول فرقة للموسيقا العربية من طلاب المعهد عام ١٩٩٢ وكانت بقيادة حميد البصري[١٠]
-
-
-

[١٠] حميد البصري موسيقي عراقي مقيم في هولندا.

- واستمرت بعد ذلك بقيادة الفنان جوان قرجولي [١١] هذه الفرقة تم إتباعها بعد ذلك للمعهد العالي للموسيقا بدمشق عام ١٩٩٥,

وكان طلاب المعهد هم العازفين بهذه الفرقة , التي أصبحت حالياً هذه الفرقة الوطنية ويقودها الفنان عدنان فتح الله[١٢] .

- رغم كافة الإشكاليات تم تشكيل فرقة ثانية للموسيقا العربية في المعهد عام ٢٠٠٤ بقيادة عدنان فتح الله وقامت بعدد من الحفلات محلياً وعالمياً

[١١] جوان قرجولي عازف عود وموزع وملحن هو خريج المعهد العربي تسلم إدارته من ٢٠٠٤ لغاية ٢٠١١ وقاد الفرقة العربية للمعهد ومن ثم الفرقة الوطنية للموسيقا العربية وتسلم رئاسة الأوبرا لمدة ستة أعوم وهو مؤسس معهد أوتار وحاصل على دكتوراه بالعلاج بالموسيقا

[١٢] عدنان فتح الله عازف عود ملحن وموزع من طلاب المعهد العربي قاد الفرقة العربية للمعهد العربي وهو الآن عميد المعهد العالي للموسيقا منذ عام ٢٠١٩.

حيث شاركت في فرنسا ودبي وسلطنة عمان ولبنان. وورغم التوقف بسبب الحرب أعيد تشكيل تأسيس الفرقة

من جديد بقيادة مهدي المهدي.

- العمل على إحياء حفلات بطريقة البث المباشر , لفرقة الموسيقا العربية وذلك فترة الحجر بسبب جائحة الكورونا , وهذا اعتبر أمراً هاماً واجتهاداً من الطلبة وإعلاماً عن الفرقة عبر الشبكة العنكبوتية[١٣].
- إقامة مسابقات لآلة العود والتي بدأت بشكل إقليمي سنوي منذ عام ٢٠٠٤ وأصبحت دولية وكانت أولى من نوعها التي استهدفت فئة الأطفال واليافعين, واتخذت طابعاً فنياً ومنهجياً و حظيت بوجود دولي وأصبحت تجد مشاركين من مختلف البقاع العربية والأجنبية,

[١٣] للمزيد من الاطلاع على حفلات المعهد عبر الشبكة العنكبوتية العودة لورقة عمل عن تجربة المعهد بأرشفة الحفلات لعبير الجابي مقدمة لمهرجان الموسيقا العربية التاسع والعشرين

واستمر هذا التقليد والإقبال لتستمر مديرية المعاهد الموسيقية والباليه بإجراء هذه المسابقات والتعامل معها بحرفية وجلب لجان تحكيم دوليين, استطاعت المسابقات هذه أن تجعل من الأطفال في سورية يتطلعون دخولها إن كانوا ممن يتعلمون الموسيقا, وكانت حافزاً للكثير من الأطفال أن يحبوا أن يدخلوا مجال التعليم

والذين لم يدخلوه قبل بل الأكثر أن صفة الدولية لهذا النوع من المسابقات جعل سورية مركزا لمنافسة يتطلع لها أطفال ويافعون من دول أخرى, إلى أن توقفت هذه المسابقات مع بداية الإشكاليات التي شهدتها سورية.[١٤]

- من الإيجابيات الهامة أن التعليم الموسيقي رغم النزاع الدائر في سورية لم يتوقف أبداً حيث أثبتت بذلك الموسيقا والفنون أنها حاجة روحية ملحة .
- يمكن الحديث أيضاً ضمن الإيجابيات وجود أسماء استطاعت أن تكون فعالة في موضوع تعليم الموسيقا العربية تخرجت من المعهد, وعلى سبيل المثال لا الحصر جوان قرجولي , عدنان فتح

[١٤] للمزيد من الاطلاع على موضوع المسابقات التي أجراها معهد صلحي الوادي الإطلاع على ورقة العمل البحثية المقدمة من هبه ترجمان لمهرجان ومؤتمر الموسيقا العربية الثامن والعشرين حول تجربة معهد صلحي الوادي المسابقات الدولية.

الله , توفيق ميرخان[١٥], بالمقابل نجد أيضاً في المعهد العربي بحلب بعض الأسماء منها طاهر ماملي [١٦]

محمد فتيان [١٧]

[١٥] توفيق ميرخان عازف على آلة القانون وأحد أعضاء الفرقة العربية للموسيقا العربية وهو الآن مقيم في ألمانيا

[١٦] طاهر ماملي ملحن ومؤلف موسيقى تصويرية سوري خريج المعهد العربي في حلب

[١٧] محمد فتيان عازف ناي وأحد أعضاء فرقة الموسيقا العربية ومن خريجي المعهد العربي وهو الآن مقيم في ألمانيا

أهم اسم تخرج من المعهد العربي لكن بحلب

هو الدكتور سعد الله آغا القلعة[١٨] .

- وجود طلبة ممن هاجروا حملوا معهم ما تعلموه من المعهد من أسس لموسيقانا العربية وجابوا بها العالم.
- قيام العديد من طلبة المعهد بعد تخرجهم بإنشاء معاهد خاصة لتعليم ونشر الثقافة الموسيقية.

تجربة المعاهد الخاصة بتعليم الموسيقا العربية في سورية ((معهد أوتار)):

ربما اخترت معهد أوتار لدراسة الحالة التعليمية للموسيقا للمعاهد الخاصة للموسيقا العربية كنموذجاً نظراً لأن مؤسسي المعهد هم من طلبة المعهد العربي التابع لوزارة الثقافة الذي تحدثنا عنه كأهم مثل للمعاهد العامة الموسيقية في سورية للأطفال والذي يعتبر الأهم والأقدم, فقد قام بتأسيسه الأخوين جوان قرجولي الذي تسلم قيادة الفرقة الوطنية للموسيقا العربية وتسلم إدارة المعهد العربي لفترة ٧ أعوام وأمير قرجولي[١٩] أحد أعضاء الفرقة الموسيقا العربية .

[١٨] سعد الله آغا القلعة أهم باحث سورية بالموسيقا العربية خريج المعهد العربي بحلب ويحمل الدكتوراه ابلهندسة شغل منصب وزيراً للثقافة يعد موقعه وبرنامجه التلفزيوني من أهم المراجع في المراجع في الموسيقا لاعربية

[١٩] أمير قرجولي عازف على آلة الكمان وأحد أعضاء فرقة الموسيقا العربية ومن خريجي المعهد العربي

المعهد تم تأسيسه عام ٢٠١١ أي في فترة تعتبر صعبة من تاريخ البلاد, من هنا جاءت أهميته أن التعليم الموسيقي والإقبال عليه حاجة ملحة في كافة الظروف.

عند الإطلاع على الوثائق الخاصة بهذا المعهد فيما يتعلق بتعليم الموسيقا العربية وجدنا مايلي :

- نسبة الطلبة الراغبين بالتعلم العزف على الآلات العربية, هو أيضاً قليل بالنسبة للطلبة المنتسبين للمعهد , فعدد طلاب المعهد بلغ منذ تأسيسه حوالي ١٠٠٨ بمعدل ١٠٠ طالب سنوياً وجاءت نسبة الذين يتلقون التعليم على الآلات العربية نسبتها نفس نسبة المعهد العربي ما بين ٣٠ إلى ٢٠٪ من الطلاب مع الانتباه أن الطلاب قد لا ينهون المراحل التعليمية في المعهد, مع التأكيد أن الراغبين بالتعليم هنا لا يتم إخضاعهم لفحص قبول ,

بل حسب الرغبة.

- عدد الآلات العربية التي يتم التعلم عليها قليل كذلك وتعتبر آلة العود الأكثر طلباً والقانون ومن ثم الغناء الشرقي .

- عدم وجود آلات تراثية نهائياً وذلك لسببين أن المعاهد الخاصة تتبع آلية السوق أن كان هذا التعبير صحيحاً, أي لا يمكن وضع خطة لتعليم أي آلة لا يوجد راغبين بالتعلم عليها .

- أهم اختلاف يمكن أن نجده بين هذا المعهد الخاص والمعهد العربي الذي يعتبر جهة عامة , هو إمكانية استقطابه للكوادر الندريسية بسبب أجور المدرسين أولاً وتخلصه من البيروقراطية ثانياً , إضافة لتجاوزه العمر الخاص للمنتسبين, وعدم إلزامهم بامتحان القبول.

النتيجة:

بالاطلاع على ما تقدم حول تعليم الموسيقا العربية في سورية وجدنا الكثير من الأمور السلبية رغم الإيجابيات, خاصة أنه لا يوجد توثيق أو دراسات جادة للتعليم الموسيقي في سورية حيث اضطررت لقيامي بالاطلاع على البيانات الإحصائية بشكل خاص من خلال عملي في المعهد.

وربما هي السلبيات التي ذكرناها قد تعاني منها دول أخرى, خاصة فيما يتعلق بتعليم الآلات التراثية والتي تعتبر سمة لهويتنا الثقافية التراثية و تغيبها هو انقراضاً لها.

إلا أن هذا الموضوع لا يمكن أن نحمل تبعاته للمعاهد فقط التي تفتقر فعلا للمنهاج الأساسية بل يمكن أن يحمل العبء أيضاً الدول صاحبة العلاقة والحكومات التي يجب عليها أن تضع رؤية واضحة للحفاظ على تراثها وهويتها بشكل واضح وتناقش هذا على أرض البحث .

في المرتبة الثانية تحمل الأسرة عبئاً كذلك فهي التي تقوم بتنشئة أبنائها بعيداً عن الهوية العربية الفنية , وربما يعود سبب هذا لما نسميه بعقدة الخواجة أولاً أو بما يشهدونه تلك الأسر من عشوائية فنية, لذلك يحجمون عن دعم وتوجيه الأطفال بدراسة وتعلم الموسيقا العربية , خاصة في حالة التفكيرأو الرغبة بامتهان أولادهم الموسيقا .

في المرتبة الثالثة للمدرسة التي يجب أن تدعم تعليم كل ما يتعلق بالهوية العربية مثل اللغة والموسيقا .

وفي النهاية سأذكر الإعلام والذي يعتبر الأهم في موضوع دعم تعلم الموسيقا العربية وحتى التراثية , وربما

سأذكر هنا مثالاً على ذلك , ظهور مسلسل تشيللو[٢٠] والذي كان سبباً في زيادة عدد طلاب آلة التشيللو من ٤ أو ٥ طلاب إلى أن وصل ٢٠ و٣٠, خاصة من الفتيات, أي أن الإعلام يعتبر توجيهاً هاماً يمكنه أن يساعد بإلقاء الضوء على آلاتنا وموسيقانا .

حينما تتضافر هذه العوامل لدعم الموسيقا العربية والتراثية, عندها يمكن ان نشهد انتهاء السلبيات التي عددناها في التعليم الموسيقي سواء بسوريا وغير سوريا.

ختاماً:

رغم العشوائية الفنية التي يعيشها العالم لا بد من دعم التعليم الموسيقي العربي للحفاظ على هويتنا وإعادة الحياة لبعض الآلات التراثية التي تعبر عن هويتنا, وهذا كله لا يمكن أن يتم إلا بتضافر جهود الدولة والإعلام والجهات المختصة بالموسيقا العربية من أجل دعم التعليم الموسيقي للآلات التراثية العربية ونظريات الموسيقا العربية والتي نفتقر حاليا لمتخصصين بها . أيضاً يجب على المتخصصين وضع مناهج لهذا الموضوع يتم تعميمها على الدول العربية وذلك بالتعاون مع الدول لوضع الحالة الخصوصية أيضاً لكل

[٢٠] مسلسل تشيللو مسلسل سوري لبناني عرض عبر قناة mbc عام ٢٠١٥

منطقة , علماً أن الموضوع ليس بهذه الصعوبة خاصة مع التطور التكنولوجي إلا أنه يحتاج لدعم مادي وإرادة لتجاوز العقبات والسلبيات ,.

والله ولي التوفيق

ملخص

لن نتحدث في هذه الورقة عن الأهمية التربوية للتعليم الموسيقي للأطفال وعن فائدة الموسيقا الروحية والفنية والإبداعية للطفل.

فمع وجود الفضاء المفتوح وتنوع الحالات الفنية وعشوائيتها نحن

الوادي للموسيقا في دمشق التابع لوزارة الثقافة السورية وهو أقدم معهد موسيقي للأطفال في سورية والذي يستقطب الفئات العمرية للأطفال, واليافعين .

وما أثر هذا الموضوع على الأطفال والمجتمع؟؟ سلباً كان أم إيجاباً ؟؟ حالياً أكثر حاجة لاستقطاب الجيل من اليافعين والأطفال لإعادتهم لتراثهم وموسيقاهم التي هي عنوان ثقافتهم وهويتهم . لأن الفن أهم العوامل المكونة للهوية والتأكيد الثقافي للذات يأتي من خلال التمسك بالتراث الموسيقي كمكون روحي للانتماء للثقافة.

و سنحاول من خلال هذه الوريقات أن نلقي الضوء على تعليم الموسيقا العربية في سورية باعتبارها الهوية وعنواناً للثقافة العربية الإبداعية وذلك بالتعرض لتجربتين الأولى تجربة معهد صلحي والإشكاليات والمعوقات

التي تواجه هذا النوع من التعليم إضافة للنجاحات في هذا المجال ؟؟ وإلى أي مدى استطاع تعليم الموسيقا العربية أن يكون تثقيفياً ويخلق أطفالاً مبدعين بالموسيقا العربية ؟؟

التجربة الثانية في نفس الوريقات هي لأحد المعاهد السورية الخاصة وهو معهد (أوتار) وهو احد المعاهد الخاصة والتي تعتمد إضافة للتدريب الحي التدريب عبر الشبكة العنكبوتية.

ومن استعراض التجربتين سنحاول أن نقدم ملخصاً ونتيجة تتضمن نقاطاً هامةً سواء كانت سلبية أم إيجابية عن تعليم الموسيقا العربية في سورية ونلقي الضوء على نقاط الضعف والقوة في هذا النوع من التعليم إضافة لأهمية هذه المعاهد في دعم الموسيقا العربية والتراثية, ودوروها بتخريج مبدعين وفنانين عرب لننتهي بالوريقات بتوصيات تدعم تعليم الموسيقا العربية والتراثية للأطفال واليافعين قبل أن يفقد الجيل الحالي أي شغف لتعلم موسيقاه.